الخشوع في الصلاة

الخشوع: هو التواضع وهو هيئة في النفس، يظهر منها في الجوارح سكون وتواضع.

قال قتادة: الخشوع في القلب، وهو الخوف وغض البصر في الصلاة، هذا هو الخشوع المحمود، لأن الخوف إذا سكن القلب أوجب خشوع الظاهر، فلا يملك صاحبه دفعه، فتراه مطرقاً متأدباً متذللاً.

وقال [عليه الصلاة والسلام] وقد رأى رجلاً مصلياً يعبث بلحيته: «**أما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه**».

ونظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى شاب قد نكس رأسه فقال: يا هذا ارفع رأسك، فإن الخشوع لا يزيد على ما في القلب.

وعليه فإن الخشوع ليس مظهراً خارجياً، بل أثر باطني، فمن أظهره للناس خشوعاً فوق ما في قلبه فإنما أظهر نفاقاً، فليس الخشوع بالتباكي وطأطأة الرأس كما

يفعله الجهال ليُرَوْا بعين البر والإجلال، وذلك من خدع الشيطان ومن تسويل النفس الأمارة بالسوء.

فالصلاة عبارة عن ذكر، وقراءة، وركوع، وسجود، وقيام، وقعود.

أما الذكر والقراءة الذي هو تحريك اللسان فإنه محاورة ومناجاة من الله عَزَّوَجَلَّ ؛ وإن تحريك اللسان ليس فيه امتحان من حيث أنه عمل، بل المقصود الحروف من حيث أنه نطق، ولا يكون نطقاً إلا إذا أعرب عما في الضمير، ولا يكون معرباً إلا بحضور القلب وفهم معاني الكلمات، فحضور القلب في الصلاة هو الخشوع.

أما الركوع والسجود فالمقصود بهما التعظيم قطعاً، وإذا خرج عن كونه تعظيماً لم يبق إلا مجرد حركة الظهر والرأس، وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان.

واختلف العلماء في الخشوع: هل هو من فرائض الصلاة، أو من سننها على قولين: منهم من قال: سنة مؤكدة. ومنهم من جعلها شرطاً أساسياً في صحة الصلاة. كالغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ واستدل على ذلك من قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[1]. فيقول:

(1) سورة طه، الآية: 14.

فمن غفل في جميع صلاته فكيف يكون مقيماً للصلاة لذكره؟

وإذا عجز المرء عن حضور قلبه في جميع صلاته، ولكنه يسعى أن يحضر قلبه في أكثر صلاته وأن لا يكون غافلاً في جميع صلاته.

وقد أجمع الفقهاء على أن حضور القلب عند تكبيرة الإحرام شرط أساسي في صحة قبول الصلاة.

ويقول سفيان الثوري: «من لم يخشع فسدت صلاته».

وروي عن الحسن رضي الله عنه أنه قال: «كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع».

ولهذا يقبل الله من صلاة العبد بقدر ما عقل منها ويأخذ حسنات بقدر ما استوعب منها. وبهذا المعنى يقول [عليه الصلاة والسلام]: «**إن الرجل لينصرف وما كتب له عُشْر صلاته، تُسْعُها، ثُمنُها، سُبُعها، سُدُسُها، خُمسُها، رُبُعها، ثُلُثها، نصْفُها**»[1].

وأول ما يرفع من هذه الأمة الخشوع لقوله [عليه

(1) رواه أبو داود، والنسائي، وابن حبان في صحيحه بنحوه عن عمار بن ياسر رضي الله عنه.

الصلاة والسلام]: «**أول شيء يرفع من هذه الأمة الخشوع حتى لا ترى فيها خاشعاً**»[1].

عن مُطرِّف عن أبيه عبد الله ﷺ قال: «رأيت رسول الله ﷺ يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء»[2].

وكان أبو بكر ﷺ إذا قام إلى الصلاة كأنه عود مقطوع لِما يعتريه من الخشوع، وكان يسكن في ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كأنه جماد.

وكان عمر بن الخطاب ﷺ إذا قام إلى الصلاة ترتعد فرائصه وتصطك أسنانه. فقيل له في ذلك قال: حان وقت أداء الأمانة وقضاء الفريضة، ولا أدري كيف أؤديها.

وكان علي بن أبي طالب ﷺ إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه. فقيل له: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فيقول: جاء وقت أمانة عَرَضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها أنا فلا أدري هل أوفي بآدابها أم لا.

(1) رواه الطبراني بإسناد حسن عن أبي الدرداء ﷺ. وروى ابن حبان في صحيحه عن شداد بن أوس ﷺ.
(2) رواه أبو داود والنسائي.

وكان ﷺ ينسى كل شيء في الصلاة حتى نفسه، لهذا كانت تخرج نبال العدو المستعصية من جسمه حال الصلاة.

وكان علي بن الحسين (الملقب بزين العابدين) إذا توضأ اصفر لونه، وإذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة. فقيل له: ما لك؟ فقال: ويحكم أتدرون بين يدي من أقوم ولمن أريد أن أناجي. . . . وقيل: وقع حريق في بيته وهو ساجد، فأتوا يقولون له: يا ابن نسل رسول الله ﷺ النار النار فما رفع رأسه. فسئل عن ذلك عندما انتهى من صلاته. فقال: ألهتني عنها النار الكبرى.

وكان عبد الله بن الزبير ﷺ كثير الخشوع إذا توجه في الصلاة كأنه جذع لا يحس بشيء ولا يتحرك حتى يقع عليه الطير.

ورمي بحجر من المنجنيق وهو يصلي في أيام محاصرته فلم يقطع صلاته. ومرة بينما هو ساجد إذ صبوا على وجهه ورأسه ماءً ساخناً فكشط وجهه وهو لا يشعر، فلما فرغ من صلاته وصحا قال: ما هذا؟ فأخبروه. فقال: غفر الله لهم ما فعلوا، ومكث زماناً يتألم من وجهه.

وقال أبو حمزة: صليت خلف أبي يزيد البسطامي مرة، فلما أراد أن يرفع يديه ليكبر لم يقدر أن يقول الله

أكبر إجلالاً لاسم الله ﷻ وارتعدت فرائصه حتى سمعت قعقعة عظامه فهالني ذلك.

ومرة سُرق رداء يعقوب القارئ من على كتفه وهو في الصلاة فأخذه الناس من اللص، وزجروه وطردوه ثم وضعوا الرداء على عنق يعقوب كل ذلك وهو لا يشعر.

ومرة كان مسلم بن يسار يصلي في مسجد فسقطت أسطوانة المسجد وهو في الصلاة بقربه، فاندفع الناس إلى المسجد ليروا هل يوجد في المسجد أحد وقعت عليه، فلم يروا إلا هذا الشخص، فلما انتهى من صلاته وجد الناس ولم يدر بوقوع هذه الأسطوانة.

وكان عمرو بن ذر جليلاً في الزهد والعبادة، فقال له الأطباء: لابد لك من قطع هذه اليد. فقال: اقطعوها. فقالوا: لا نقدر على قطعها إلا أن نشدك بالحبال. فقال: لا ولكن إذا شرعت في الصلاة فاقطعوها حينئذٍ، فلما دخل في الصلاة قطعت ولم يشعر بذلك.

وكان سعيد التنوخي إذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته. ويحكى عن أبي حنيفة رضي الله عنه أن حية سقطت من السقف وتفرق الناس، وكان أبو حنيفة في الصلاة ولم يشعر بها..

ومن استبعد هذه الأقوال فليقرأ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا

رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[1]. (قطعن أيديهن) وما شعرن بذلك، فإذا جاز هنا في حق البشر أفلا يكون عند استيلاء عظمة الله على القلب أولى؟

ومن دخل على ملك مهيب فربما مر به أبواه وبنوه وهو ينظر إليهم ولا يعرفهم لأن استيلاء هيبة ذلك الملك تمنع القلب عن الشعور بهم، فإذا جاز في حق ملك مخلوق أفلا يجوز في حق خالق العالم؟

لذلك كانت العبادة نتيجة لمعرفة العبد عظمة مولاه، ويتفاوت الناس فيها على حسب تفاوتهم في المعرفة، فالأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين لكونهم أعرف الخلق بالله تعالى كانوا أكثرهم عبادة وأشدهم خوفاً منه، ثم الأمثل فالأمثل.

وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على الخاشعين في الصلاة بالفلاح بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾[2].

وإذا لم يرافق الصلاة الخشوع فإن المرء يشعر بثقل

(1) سورة يوسف، الآية: 31.
(2) سورة المؤمنون، الآيتان: 1، 2.

الصلاة وأنها متعبة وشاقة لقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[1].

ومعنى كبيرة: أي ثقيلة لأنهم متى خشعوا كانوا مستغرقين في مناجاتهم مع الله تعالى فلا يدركون ما يجري من المتاعب والمشاق بل تصير لهم لذة.

(1) سورة البقرة آية 45.

obeikandl.com